خصائص اللغة العربية الفصحى ومكانتها في الدين الإسلامي

Hasyim Asy'ari
hasyim.ikhac@gmail.com
Institut Pesantren KH. Abdul Chalim، Mojokerto

ملخص : اللغة العربية أفضل اللغات وأوسمها. لها الخصائص والمميزات تميزت بها عن غيرها من اللغة الأخرى. وقد تميزت اللغة العربية بميزات وخصائص انفردت بها عن سائر اللغات فى النواحي التاريخية والدينية والثقافة، فضلا عن النواحي اللغوية من أصوات وصرف ونحو ودلالة وبلاغة. من النواحي التاريخية تعد اللغة العربية من اللغات العريقة، الموغلة فى القدم، بل إنها أم اللغات وأقدمها. ومن النواحي الدينية والثقافية أن اللغة العربية لغة مقدسة فى الأديان السماوية السابقة لدين الإسلام. ومن اللغوية خصائص كثيرة مثل الخصائص الصوتية، الخصائص الصرفية، الخصائص النحوية، الخصائص المعجمية والدلالية. واللغة العربية الفصحى تميزت من اللغة المولدة هو الإعراب. والعربية الفصحى تغدو لغة الأدب والثقافة. اللغة العربية الفصحى هي اللغة القرأن الكريم الذى انزل إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هدى للناس، وهي أفصح اللغة العربية. واللغة العربية هي الوسيلة لحفظ التراث العقائدي والثقافي للأمة العربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية : العربية الفصحى، خصائص اللغة العربية، مكانة

مقدمة

نشأ الانسان في المجتمع العديد، فيها الثقافات و الحضارات المختلفة. وفي تعاملهم اليومية يحتاج الإنسان ليعبر ما في ذهنهم إلى غيرهم، وهذه الوسيلة هي اللغة. كانت اللغة دورا عظيما في حياة الإنسان، لأنها أوثق العرى التى تربط بين أفراد أو جماعة. ويتواصل الإنسان باللغة مع المجتمع الذى يولد ويعيش فيه. و اللغة أنواع كثيرة، منها اللغة العربية التى استخدمت في الجزيرة العربية. كانت اللغة العربية من إحدى اللغات السامية التى إختفظت حتى اليوم. وفيها لهجات مختلفة بين الشعوب العربية.

اللغة العربية إحدى اللغات السامية وقد أطلق مصطلح السامية في نهاية القرن الثامن عشر على الشعوب الأرامية والفنيقية والعبرية

والعربية واليمنية والبابلية الاشورية. وقد لاحظ كثير من الباحثين الأوربيين أوجه الشبة بين العبرية والعربية.

اللغة العربية التي وصلت الينا هي اللغة المشتركة في الجزيرة العربية وكانت قبل الاسلام لهجات عديدة تعرف بلهجات القبائل وبينها إختلاف في اللفظ كلهجات تميم وربيعة ومضر وقيس وهديل وقصاعه وغيرها كما هو مشهور.

ومن هذه اللهجات المتنوعة تعتبر لهجة القريش من أقوى اللهجات في تكوين اللغة العربية الفصحى فقد استبكت اللهجة العربية في صراع اللغوى نتيجة لحاجات الحياة المتجددة التى يدفع اليها تبادل المنافع، وجمع الناس في موسم الحج والأسواق والحروب، وقد كتب للهجة القريشية الفور لأسباب دينية وسياسية واقتصادية.

الإطار النظري

قال ابن فارس في فقه اللغة : اللغة العربية لغة العرب أفضل اللغات وأوسمها.[1] وشغل الباحثون قديما وحديثا بحصر اللغة العربية. فنظر بعضهم إلى هذه الخصائص على أنها ميزات تميزت بها اللغة العربية عن غيرها من اللغة الأخرى. ونظر بعضهم إليها على أنها سمات وأوصاف غلبت على اللغة العربية أكثر مما غلبت على اللغات الأخرى. ونظر فريق ثالث إليها على أنها سمات فى العربية تشترك فيها لغات أخرى بالدرجة نفسها.

وقد تميزت اللغة العربية بميزات وخصائص انفردت بها عن سائر اللغات فى النواحي التاريخية والدينية والثقافة، فضلا عن

[1] السيوطي، **المزهر في اللغة وأنواعها**، (القاهرة: مكتبة مصرية، ١٩٥٨م)، ج ١، ص ٣٢١.

النواحي اللغوية من أصوات وصرف ونحو ودلالة وبلاغة.[٢]

أ. النواحي التاريخية

تعد اللغة العربية من اللغات العريقة، الموغلة فى القدم، بل إنها أم اللغات وأقدمها فى نظر بعض اللغويين والمؤرخين، منهم الأستاذ عباس محمود العقاد الذي يؤكد — فى دراسته لتاريخ علم الإنسان — أن اللغة التى عرفت فى جزيرة كريت قبل أربعة الاف سنة هي العربية التي اصطلح عليها بالفينيقية، لأن الفينيقيين أقاموا على النهرين على مقربة من الخليج العربي قبل انتقالهم إلى شواطئ فلسطين، وأن الحروف المنسوبة إليهم كانت حروفا عربية. ويرى العقاد أن الأبجدية العربية أسبق من الأبجدية اليونانية و العبرية، فالأبجدية اليونانية عربية بحروفها وبمعاني تلك الحروف، وموافقة بترتيبها لترتيب الأبجدية العربية.[٣]

يؤيد هذا الرأي ما روى عن النبي من أن : (أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة)، وما رواه ابن سلام فى الطبقات عن النبي موقوفا من أن (أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه نبي الله اسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام).

فقد أخرج ابن عساكر (٤٩٩-٥٧١ هـ) في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن أدم كانت لغته في الجنة العربية، فلما عصى سلبه الله العربية، فتكلم بالسريانية، فلما تاب رد الله عليه العربية.[٤] قال السيوطي: (قال عبد الملك بن حبيب: كان اللسان الأول الذي نزل به أدم من الجنة عربية إلى أن بعد العهد وطال، وحرف وصار سريانيان.

---

[٢] عبد العزيز بن إبرهيم العصيلى، **من خصائص اللغة العربية**، (الرياض: الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، ٢٠٠٨)، ص ٨

[٣] نفس المرجع، ٩

[٤] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج.١، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ١١٥.

ومن العلماء من يرى أن اللغة العربية السابقة للفصحى ترجع إلى القرن الخامس فقط قبل الميلاد، مستدلا بما ورد فى النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية، وأن أقدم نص للعربية الفصحى يرجع إلى سنة ٣٢٨ للميلاد، اعتمادا على أن الكتابة تأتي فى مرحلة لاحقة لنشأة اللغة.

وسواء اتفق العلماء على تاريخ محدد لميلاد العربية ونشأتها، أم اختلفوا فيه، فإنهم يجمعون على أنها من اللغات القديمة، وأنها فرع من اللغة السامية، بل هي أقرب اللغات السامية إلى اللغات السامية الأم أو هي السامية الأم، لأنها احتفظت بخصائص وعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم أكثر مما احتفظت به الساميات الأخرى.[٥]

ب. النواحي الدينية والثقافية

ذكرت في موضع سابق ما روى عن النبي من أن : (أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل بن إبراهيم.

وإذاصحت هذه الرواية فإن اللغة العربية هي لغة الإسلام الصحيح الذي بعث الله به الرسل منذ أدم عليه السلام حتى نبينا محمد صلوات الله وسلام عليه.

اللغة العربية لابد أن تكون لغة مقدسة فى الأديان السماوية السابقة لدين الإسلام، قبل أن ينزل بها القرأن الكريم على يد خاتم الأنبياء و الرسل، محمد بن عبد الله العربي القريشي، أفصح نطق بهذه اللغة.

واقتضت ضرورة الدين أن تتحول هذه اللغة العربية الناطقة باسمه إلى لغة مكتوبة، فكتب بها القرأن الكريم، والأحاديث النبوة، وكتبت بها رسائل النبي محمدإلى ملوك الفرس والروم وغيرهم من الشخصيات، يدعوهم فيها إلى الإسلام ثم كتبت بها السيرة النبوة، وسائر علوم الإسلام وأدابه، من عقيدة وفقه ولغة وتاريخ، كما كتبت بها العلوم الطبيعية، كالرياضات والطب والصيدلة، وكتب بها الجغرافيا وعلوم الفلك وغيرها من العلوم التي ازدهرت فى العصر العباسي.

[٥] إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربية**، الفاهرة: مكتبة الأنجاو المصرية، ١٩٨٤ م، ص ٣٣

لقد ربط الإسلام بين اللغة العربية وعلوم الشريعة ربطا محكما، لأن اللغة العربية محمولة على أصول الشريعة،كما يقول السيوطي، وأصبح الإجتهاد فيها مشروطا بمعرفة العربية معرفة كافة، وكما يقول إبن جني: ".. ذالك أكثر من ظل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلي إليها، فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه فى اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها"[٦].

ج. النواحي اللغوية

1. الخصائص الصوتية

الأصوات في اللغة هي مادة الألفاظ، وأساس الكلام، والعمدة في تنويع الاداء وتلوينه، وأعطائه رئيا إضافيا يزيد من وضوح التعبير وصدقه في حمل فكرة المتكلم، أو التأثير بها في السامع. والكلمة، التي هي الوحدة الأساسية التي تتكون منها اللغة، وتتألف من عناصر هي الأصوات ممثلة فى الحروف. هذه الأصوات تتشخص ويتميز بعضها عن بعض في اللغات البشرية، لكن درجة هذا التميز ووضوحه يختلف من لغة لأخرى، كما تختلف اللغات في أصواتها وعدد الحروف الممثلة لهذه الأصوات[٧].

تتميز أصوات العربية هذه بتوزعها في أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات، حيث تتوزع في مخارجها وتتدرج ما بين الشفتين من جهة وأقصى الحلق من جهة أخرى. فالباء والفاء والواو الساكنة تخرج من الشفتين، والهمزة والهاء والعين والحاء تخرج من أقصى الحلق، تليها الغين والخاء، وتتوزع باقي الأصوات بينمها.

وينبغي أن التنبيه هنا إلى أن تميز العربية بأصوات معينة يعني أن لهذه الأصوات فى العربية وحدات صوتية متميزة وظيفيا فونولوجيا، وأن لها رموزا صوتية معينة. فصوت الصاد، الذي هو الأصوات الإطباق فى العربية، ليس له مقابل في اللغة الإنجليزية وكثير من اللغات الأوروبية بوصفه صوتا مستقلا يحمل رمزا صوتيا معينا سوى

[٦] أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، (بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر)، ج ٣، ص ٢٤٥

[٧] عبد العزيز بن إبرهيم العصيلى، **من خصائص اللغة العربية**، ص ١٨.

صوت /s/ غير المنطبق، لكنه يسمع منطبقا في نطق بعض الكلمات الإنجليزية، إذا وقع في مقاقع معينة، كما في : some son، sun، sight،science وغيرها.[8]

واستفاد اللغويون من هذه الميزة فى التمييز بين الكلمات العربية والكلمات الدخيلة او غير الفصيحة، فبينوا أن من الفصاحة عدم الجمع بين الأصوات المتقاربة في المخرج في كلمة واحدة، وإن جمع بين اثنين منها فإنه يقدم الأقوى على الاضعف نحو أهل وأحد وأخ وعهد.

تتميز أصوات اللغة العربية أيضا بثباتها على مدى العصور وتعاقب الأجيال. فالحروف العربية كما نلفظها في لغتنا العربية الفصحى، ونقرأ لها القرأن الكريم — لم تتغير ولم تتبدل منذ ما يزيد على ستة عشر قرنا، أي منذ العصر الجاهلي الذي أعقبه ظهور الإسلام ونزول القرأن الكريم بهذه اللغة.

2. الخصائص الصرفية

الصرف والتصريف فى التراث العربيلامصطلحان لعلم واحد، بيد أن التصريف أقدم استعمالا، وأقرب ألى المعنى العلمي من الصرف، ولكن الصرف أكثر استعمالا من التصريف، وبخاصة فى عصرنا الحاضر، وأخف منه على الألسنة.

أ)الاشتقاق هو : أخد صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية.[9] وهو أيضا توليد بعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد، وتصنف أنواع المشتقات إلى ثلاث : أصغر، الكبير، الأكبر:[10]

ب)النحت هو انتزاع لعض الحروف من كلمتين فأكثر، وتكوين كلمة منها لتفيد المعنى على سبيل الاحتصار.[11]

[8] نفس المرجع، ص ٢٠-٢١.

[9] السيوطي، **المزهر في اللغة وأنواعها**، ج ١، ص ٣٤٦

[10] أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، ٢٤٩

[11] عبد الغفار حامد هلال، **العربية خصائصها وسماتها**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٤)، ص ٢٤٠.

ج) القياس. يعد القياس طريقا لنمو اللغة، ووسيلة من وسائل إثرائها فيمكن عن طريقه أن تولد كلمات أو صيغ كثيرة لاستعمالها في أغراض شتى تبعا لمقتضيات المقام.[١٢]

د) التعريب هو قبول اللغة العربية للكلمات والألفاظ غير العربية، ودخولها فيها وفق ضوابط محددة.[١٣]وقد عرف الإمام جلال الدين السيوطي المعرب بقوله: (هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها).[١٤]

3. الخصائص النحوية

أ) الإعراب، هو في اللغة إلا بانة والافصاح والتوضيح. وفي الاصلاح عند ابن جني هو الابانه عن المعاني بالالفاظ. وعندغيره هو تغير العلامة التي في اخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخله عليه وما يقتضيه كل عامل؛[١٥] او تغيير اواخر الكلمات بتغيير وظائفها النحوية ضمن الجملة.

ب)يتبين من هذا التعريفات العلاقه بين النحو والاعراب، فقد يفرق بين الإعراب والنحو إلى أن الإعراب قضية من قضايا النحو وقد يسمى النحو إعرابا والأعراب نحوا، فقد ورد في اللسان العرب :"...والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانه عن المعاني بالألفاظ.

ج) التقديم والتأخير. تنقسم الجملة العربية ثلاثة اقسام :اسمية، وهي التي صدرها اسم مثل : محمد قائم. وفعلية، وهي التي صدرها فعل مثل : قام محمد. وظرفية :وهي التي صدرها ظرف او جار ومجرور مثل: اعندي ضيف ؟ ومثل: أفي الفصل طالب ؟ وتسمى شبة الجملة. ومن ابرز سمات اللغة العربية حرية التقديم و التأخير في عناصر الجملة كالخبر المقدم؛[١٦] وتلك السمة يندر وجودها في

٥

١ نفس المرجع، ص ٢٨٨.

١ عبد العزيز بن إبرهيم العصيلى، **من خصائص اللغة العربية**، ٤٠.

١ السيوطي، **المزهر في اللغة وأنواعها**، ج ١، ص ٢٦٨.

١ عباس حسن، **النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المجددة**، (القاهرة: دار المعارف،١٩٧٥)، ج ١، ص ٧٤

١ محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، **الكواكب الدرية شرح متمة الاجرومية**، سورابايا: الهداية، ج١، ص٧٩.

اللغة من لغات العالم ، كالإنجليزية ، والفرنسية.

د) المبني للمجهول ونائب الفاعل ، أو ما لم يسم فاعله،[١٧] باب مهم من ابواب النحو والصرف، تحدثت عنه علماء العربية بما يكفي ويشفي، وهو من خصائص اللغة العربية. وقد لفتت كثير من انظار المستشرقين ، ومنهم المستشرق الالماني برجشتراسر الذي فصل القول فيه ضمن حديثه عن الجملة الفعلية ، وسماه : الفعل المعدوم الفاعل ، او المسند إلية ، مبتدأ بالافعال المتعدية إلى مفعول ، فقال: "...فهو فعل ما لا يسمى فاعله ، نحو ضرب زيد فهو معدوم الفاعل ، وليس بمعدوم المسند إليه.

هـ) أبنية الفعل، هو من الخصائص التركيبية، تخصيص ابنية الفعل وتنويعها. فقد تمها برجشتراسر بطريقتين، احداهما: اقترانها بالادوات نحو قد فعل، ومثل ذلك في النفي نحو لا افعل. والأخرى هي تقديم فعل كان على اختلاف صيغه ، نحو كان قد فعل وغير ذالك.[١٨]

وقد عقب برجشتراسر على هذا وقال "فاللغة العربية اكمل اللغات السامية ، واتمها في هذا الباب ، أي باب معاني الافعال الوقتية وغيرها ، وهي مع ذلك احدثها ، انكشفت انكشافا زائدا على ما في غيرها ، وابتعدت عن الاصل ابتعادا اكثر منه".

و) المثنى، هو من خصائص اللغة العربية أيضا وهو :لفظ يدل على اثنين اتحدا في اللفظ والمعنى بزيادة الف ونون على المفرد رجلان ،أوياء ونون في حالتي النصب والجر نحو:رأيت رجلين ومررت برجلين وتحذف النون ويكتفي بالألف أو الياء عند الإضافة.[١٩]

ز) التذكير والتأنيث من السمات الخاصه باللغه العربية حيث تصنف الأشياء من ناحية

٧ [١] نفس المرجع، ج١، ص ٧١.

٨

٩

[١] عبد العزيز بن إبرهيم العصيلى، **من خصائص اللغة العربية**، ص٥٣.

[١] محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، **الكواكب الدرية شرح متمة الاجرومية**، ج١، ص ٢٠.

الجنس إلى مذكر نحو: أب رجل وجمل ومؤنث نحو: أم وامراءه وناقة:[٢٠]

ح) المطابقة هي تطابق عنصرين أو اكثر من عناصر العبارة أوالجملة في باب واحد أو أكثر من الأبواب النحوية، وهي العلامة الإعرابية والشخص (التكلم . والخطاب . والغيبه) والعدد (الإفراد والتأنيث) والتعيين (التعريف والتنكير).

4. الخصائص المعجمية والدلالية

يقصد بالخصائص المعجمية هنا كلمات اللغة، لأن الكلمة مادة المعجم، كما يقصد بالخصائص الدلالية معاني تلك الكلمات.

واختلف اللغويون فى تعريف الكلمة وحدودها،[٢١]قديما وحديثا: قالنحاة العرب عرفوا الكلمة بأنها اللفظ المفرد، أو القول المفرد، أو لفظ مفرد دال على معنى مفرد، أو على حد قول ابن عقيل : (الكلمة لفظ وضع لمفرد).

فالدكتور تمام حسن يعرف الكلمة العربية بأنها : (صيغة ذات لغوية معينة في تركيب الجملة، تقوم بدور وحدة من الوحدات المعجم، وتصلح لأن تنفرد أو تحدف أو تحشى، أز يغير مةضوعها، أو يستبدل بها غيرها في السياق; وترجع في مادتها غالبا إلى أصول الثلاثة، وقد تلحق بها زوائد).

والكلمة في أي لغة لها ثلاثة جوانب : الصيغة أو البنية، والمعنى أو الدلالة، والتوزيع. والكلمات العربية لاتخرج عن هذا القنون العام، بيد أنها تمتاز عن كثير من اللغات في كل جانب من هذه الجوانب الثلاثة.

فمن حيث الصيغة، تمتاز اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية; حيث تتغير الدلالة بتغير بنية الكلمة، مع بقاء حروفها الأصلية. ومن حيث المعنى أوالدلالة، يلاحظ أن اللغة العربية من أوسع اللغات في هذا الجانب; بسبب كثرة كلماتها، وتنوع استعمالات هذه هذه الكلمات في الميادين العلمية والأدبية والثقافة. وأما من حيث التوزيع، فإن معظم كلمات اللغة العربية ترد اسما وفعلا وصفة، مع التعديل في صيغها.

---

[٢٠] نفس المرجع، ص٦٦.

[٢١] أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، (القاهرة: مكتبة مصرية، ١٩٩٨ م)، ص ٣٣.

مناهج البحث

ومنهج هذا البحث هو المنهج الوصفي اللغوي. وهو يحاول أن يخلص العلوم اللغوية من الوجهة التاريخية من جهة، ومن الوجهة المعيارية من جهة أخرى. ويهتم هذا المنهج بوصف النصوص اللغوية وصفا واقعيا للنصوص. ومن هذا الوصف نصل إلى القواعد أو القوانين التي تحكم اللغة، أو نتوصل إلى معرفة البنية والتركيب الهيكلي لها. وللمنهج الوصفي أُسس عامة تتوزعها أفكار تنظيمية للمنهج , وقواعد عملية في التحليل منها : أنّ الوصف لأيّ لغة ينبغي أنْ يبدأ من الصورة المنطوقة إلى الصورة المكتوبة والعكس خلاف ذلك باعتبار أنّ اللغة لها وجهان : وجه الكلام وهو الذي تنصرفُ إليه الوصفية بأهميةٍ خاصة , ووجه الكتابة , فالأولى هي المادة الخام لعملية التحليل اللغوي , والأخرى هي الصورة أو الشكل لهذا التحليل.[٢]

نتائج البحث

اللغة العربية الفصحى والعامية

رأينا من مواضع سابقة من هذا الفصل أن العلماء العربية القدماء جعلوا قواعد الإحتجاج فاصلا بين مرحلتين للغة العربية. الأولى ضمت ما صح بحسب معاييرهم من كلام الجاهلين والمخضرمين والإسلاميين المتقدمين. على حين ضمت الثانية كل ما تلا هؤلاء من المولدين الذين لايحتج بكلامهم، وإن كانوا علماء أو شعراء أو كتابا تغليبا لعنصر الزمان على ما سواه، هكذا صار مصطلح "المولد" سمة للكلام الذي استعمله الناس قديما بعد عصر الرواية والإحتجاج.[٢٢]

يرى يوهان فك أن ما يميز الفصحى من المولدة هو ترك الإعراب، ومن هنا يصح القول عند فك إن التحرر من الإعراب قرينة

[٢] أحمد محمد قدور، ***مدخل إلى فقه اللغة العربية***، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٣)، ص ١٤٧.

أكيدة على العربية المولدة لا العكس، أي إن العربية المولدة ليست منحصرة في التحرر من الإعراب، ويرى فك أيضا أن هذه المولدة بسلت المحصول الصوتي وحرفته، كما بسلت صوغ القوالب اللغوية، وأخلت بنظام الجملة وتنازلت عن التصرف الإعرابي مكتفية ببعض القواعد القليلة عن مواقع الكلمات — أي رتبتها — فى الجملة عن علاقات التركيب.[٢٣]

ولم تكن المؤلفات الكثيرو التي بدأت بالظهور لدى كسائي (ت ١٨٩ هـ) والتي سعت إلى إعادة هؤلاء الخارجين على الفصحى إليها، تمنع اتساع ظاهرة اللحن وانتشارها في الأمصار حتى تضافرت عوامل كثيرة جعلت اللهجات العامية المحلية تظهر للعيان.

وإذا توضحت لنا حدود هذا المولد بداية وسمات ومالا، كان تتبع تاريخ العربية مفيدا، لأننا نميز بين الفصحى والعامية فى كل ما يعرض لنا من أمور.[٢٤]

وهكذا نجد العربية الفصحى تغدو لغة الأدب والثقافة فقط، فلم تعد لغة الدولة، كما ام تعد لغة تتداول على ألسنة الفصحاء من الأعراب، وبذلك طرأ تحول كبير إذاغدت العربية تتلقى بالتعليم المنظم الذي يتضمن القواعد والنصوص الشعرية، إضافة إلى المعين الخالد وهو القرأن الكريم الذي أسهم إسهاما عظيما في كل عصر ومصر في الحفاظ على العربية لسان الوحي المبين.[٢٥]

اللغة العربية الفصحى هي اللغة القرأن الكريم الذى انزل إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هدى للناس، وهي أفصح اللغة العربية. كانت اللعة العربية العامية تقابلها اللغة العربية الفصحى لخلوها عن القواعد الثابتة من التراكيب الاعرابية وهي من

٤

٣ ٢ نفس المرجع. ٥

٢ نفس المرجع، ص ١٥٠.

٢ نفس المرجع، ص ١٥٣.

النواحى الأربعة. قد تكلمت هذه اللغة بلهجات مختلفة بين الشعوب العربية وهي لغة سهلة لخلوها من الاعراب. يتكلم اللغة العامية بلفظ شائع، ومما بالحصر أو بالتقلب الحرف التى سهل لهم عند النطق. مثلا يقول " كيف حالك " بقول "إ ش لونك " أو " إزيك " أو "لا بأس عليك ".[٢٦]

وقد يكون العامية بحدف احد الحروف من اللفظ الواحد، مثلا في قول " أحد عشر " بلفظ حد عشر (بحدف الالف).[٢٧]وتستخدم هذه اللغة في الشؤون العادية اليومية، وهي لغة المعاملات اليومية في السوق ولغة التخاطب غيرالرسمى واللغة التى تستخدم في البيت. وقد تستعمل هذه اللغة بالجمل القصيرة والكلمة الشائعة والتراكيب السهلة كما أنها تظهر اللهجة الجغرافية.

وبذلك كانت اللغة العامية لغة العامة وهي خلاف الفصحى. والعامة هو من يتكلمون بلغة مختلفة عن الفصحى، وأن العامة من العامى يدل على أن اللفظ عندهم قريب من الجهل وبعيد من العلم الذى هو نور. وكانت العامية أسهل على المتكلم بها من أي لغة أو لهجة مفروضة عليه.[٢٨]

ولذلك كانت اللغة العامية هي لغة المعاملات اليومية في السوق، لغة التخاطب غير الرسمى، اللغة المستخدم في البيت اللغة التى يتخاطب بها صديقان حميمان، وفي لغة تستعمل الجمل القصيرة والكلمة الشائعة والتراكيب السهلة، كماأنها تظهر اللهجة الجغرافية للمتكلم، وتوجد في اللغة الواحدة

٦ ٢ إميل بديع يعقوب، ***فقه اللغة العربية وخصائصه***، (بيروت: دار الثقافة الاسلامية)، ص ١٠٩

٧ ٢ عبد العزيز مطر، **لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة**، (بيروت: دار المعارف، ١٩٨١)، ص ٤٥.

٨ ٢ نفس المرجع

عدة لهجات عامية، وليست لهجة عامية واحدة.[٢٩]

مقاييس اللغة الفصحى

بعد أن عرضنا للفروق بين للهجتي تميم وقريش– وهما اللهجان الرئيسان بين لهجات العربية– أصبح يسيرا علينا أن نتصور نوع الخصائص التي تمتاز بها لغتنا الأدبية المثالية عن أخواتها من اللغة السامية بوجه خاص، وعن كثير من اللغات الأجنبية بوجه عام ; فأن الخصائص لا تميز لغة قريش لذاتها، بل لتمثلها خير ما في اللهجات العربية الصحيحة بالتوليد والاشتقاق وخير ما في اللغات الأجنبية بالنقل والتعريب.[٣٠]

وينبغي ألا ننسى أن لغة قريش كانت — عند قال ابن خلدون — "بعيدة عن بلاد العجم من جميع جهاتها"، وإن كنا نعترف بأن بعدها عنها لم يحل دون تسرب بعض الألفاظ الفارسية والرومية إليها. ولكننا، عند الحديث عن التعريب، سنرى أن مقدر لغة ما على تمثل الكلام الأجنبي تعد مزية وخصيصة لها إذا هي صاغته على أوزانها، وصيته في قوالبها، ونفخت فيه من روحها.[٣١]

ومع التشدد في مقياس الفصاحة، اصطنع العرب لغة قريش للتفنن في القول، والإبانة في التعبير، فدل استصفاؤهم إياها على أنها اختارت من كلام العرب أبينه، وراعت أرشقه، واعتمدت أصفاه; فكان حقا ما ذهب إليه الباحثون من المستشرقين وغيرهم من أن أهم مزية للعربية حفظت لها شخصيتها بين أخواتها الساميات إنما هي عزلتها عن الشعوب الأعجمية، واكتفاؤها بمقدرتها الذاتية على التعبير، وعلى التمثل والتوليد، وعلى التحير والانتقاء، وفي موطنها

[٢] السيد صبري إبراهيم، **علم اللغة الاجتماعى مفهومه وقضاياه**، (اسكندرية: دار المعرفة الجامعة، ١٩٩٥)، ص ٥١.

[٣] صبحى الصالح، **الدراسات في فقه اللغة**، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٤)، ص ١٠٩.

[٣] نفس المرجع، ص ١١٠.

عينها، وبيئتها نفسها، وبين شقيقاتها اللهجات الفصحى التي تبادلت معها التأثر والتأثير، بينما كانت الساميات يتفرقن عن موطن السامية الأم، ويبتعدن في الوقت نفسه عن الأصالة والصفاء.

ولقد كان لتلك العزلة نتائج حسنة في محافظة العربية على ظاهر الإعراب الكامل، ومناسبة حروفها لمعانيها، وثبات أصواتها مع سعة مدرجها، وتنوع صرفها واشتقاقها، وتعدد أبنيتها وصيغها، وكثرة مصادرها وجموعها، وغنى مفرداتها والاشتراك والترادف والتضاد، واستعدادها الذاتي للنحت والتوليد والتعريب.[٣٢]

اللغة العربية الفصحى والعامية

رأينا من مواضع سابقة من هذا الفصل أن العلماء العربية القدماء جعلوا قواعد الإحتجاج فاصلا بين مرحلتين للغة العربية. الأولى ضمت ما صح[٣] بحسب معاييرهم من كلام الجاهلين والمخضرمين والإسلاميين المتقدمين. على حين ضمت الثانية كل ما تلا هؤلاء من المولدين الذين لايحتج بكلامهم، وإن كانوا علماء أو شعراء أو كتابا تغليبا لعنصر الزمان على ما سواه، هكذا صار مصطلح "المولد" سمة للكلام الذي استعمله الناس قديما بعد عصر الرواية والإحتجاج.[٣٣]

يرى يوهان فك أن ما يميز الفصحى من المولدة هو ترك الإعراب، ومن هنا يصح القول عند فك إن التحرر من الإعراب قرينة أكيدة على العربية المولدة لا العكس، أي إن العربية المولدة ليست منحصرة في التحرر من الإعراب، ويرى فك أيضا أن هذه المولدة بسطت المحصول الصوتي وحرفته، كما بسطت صوغ القوالب اللغوية، وأخلت بنظام الجملة وتنازلت عن التصرف الإعرابي مكتفية

[٣] نفس المرجع، ص ١١٥-١١٦.

[٣] أحمد محمد قدور، ***مدخل محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية***، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٣)، ص ١٤٧.

ببعض القواعد القليلة عن مواقع الكلمات – أي رتبتها – فى الجملة عن علاقات التركيب.[٣٤]

ولم تكن المؤلفات الكثيرو التي بدأت بالظهور لدى كسائي (ت ١٨٩ ه) والتي سعت إلى إعادة هؤلاء الخارجين على الفصحى إليها، تمنع اتساع ظاهرة اللحن وانتشارها في الأمصار حتى تضافرت عوامل كثيرة جعلت اللهجات العامية المحلية تظهر للعيان.

وإذا توضحت لنا حدود هذا المولد بداية وسمات ومالا، كان تتبع تاريخ العربية مفيدا، لأننا نميز بين الفصحى والعامية فى كل ما يعرض لنا من أمور.[٣٥]

وهكذا نجد العربية الفصحى تغدو لغة الأدب والثقافة فقط، فلم تعد لغة الدولة، كما ام تعد لغة تتداول على ألسنة الفصحاء من الأعراب، وبذلك طرأ تحول كبير إذاغدت العربية تتلقى بالتعليم المنظم الذي يتضمن القواعد والنصوص الشعرية، إضافة إلى المعين الخالد وهو القرأن الكريم الذي أسهم إسهاما عظيما في كل عصر ومصر في الحفاظ على العربية لسان الوحي المبين.[٣٦]

اللغة العربية الفصحى هي اللغة القرأن الكريم الذى انزل إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هدى للناس، وهي أفصح اللغة العربية. كانت اللعة العربية العامية تقابلها اللغة العربية الفصحى لخلوها عن القواعد الثابتة من التراكيب الاعرابية وهي من النواحى الأربعة. قد تكلمت هذه اللغة بلهجات مختلفة بين الشعوب العربية وهي لغة سهلة لخلوها من الاعراب. يتكلم اللغة العامية بلفظ شائع، ومما بالحصر أو بالتقلب الحرف التى سهل لهم عند النطق. مثلا يقول

[٣] نفس المرجع.

[٣] نفس المرجع، ص ١٥٠.

[٣] نفس المرجع، ص ١٥٣.

" كيف حالك " بقول "إ ش لونك " أو " إزيك " أو "لا بأس عليك ".[٣٧]

وقد يكون العامية بحدف احد الحروف من اللفظ الواحد، مثلا في قول " أحد عشر " بلفظ حد عشر (بحدف الالف).[٣٨]وتستخدم هذه اللغة في الشؤون العادية اليومية، وهي لغة المعاملات اليومية في السوق ولغة التخاطب غيرالرسمى واللغة التى تستخدم في البيت. وقد تستعمل هذه اللغة بالجمل القصيرة والكلمة الشائعة والتراكيب السهلة كما أنها تظهر اللهجة الجغرافية.

وبذلك كانت اللغة العامية لغة العامة وهي خلاف الفصحى. والعامة هو من يتكلمون بلغة مختلفة عن الفصحى، وأن العامة من العامى يدل على أن اللفظ عندهم قريب من الجهل وبعيد من العلم الذى هو نور. وكانت العامية أسهل على المتكلم بها من أي لغة أو لهجة مفروضة عليه.[٣٩]

ولذلك كانت اللغة العامية هي لغة المعاملات اليومية في السوق، لغة التخاطب غير الرسمى، اللغة المستخدم في البيت اللغة التى يتخاطب بها صديقان حميمان، وفي لغة تستعمل الجمل القصيرة والكلمة الشائعة والتراكيب السهلة، كماأنها تظهر اللهجة الجغرافية للمتكلم، وتوجد في اللغة الواحدة عدة لهجات عامية، وليست لهجة عامية واحدة.[٤٠]

مكانة اللغة العربية

إن اللغة مرآة الفكر وإداته، وثمرة العقل ونتاجه، ثم هى معرض الثقافة الإنسانية وحضارتها، ووسيلة للتواصل البشرى يعبر بها

---

٣ إميل بديع يعقوب، ***فقه اللغة العربية وخصائصه***، (بيروت: دار الثقافة الاسلامية)، ص ١٠٩

٣ عبد العزيز م□ر، **لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة**، (بيروت: دار المعارف، ١٩٨١)، ص ٤٥.

٣ نفس المرجع

٤ السيد صبري إبراهيم، **علم اللغة الاجتماعى مفهومه وقضاياه**، (اسكندرية: دار المعرفة الجامعة، ١٩٩٥)، ص ٥١.

الإنسان عما يختلج في صدره من افكار ومشاعر، اما اللغة العربية فهى واسطة عقد اللغات العالمية لمسايرتها الزمن وطواعيتها للنمو والتقدم، وقدرتها الفذرى على التعبيرعن الذات والموجودات، وفوق ما تتصف انها لغة رسالة االله الخالدة، ووعاء سنة نبيه المطهرة، ومعلم في طريق العلم، ومفتاح التفقّه في الدين، تنتمى اللغة العربية إلى اسرة اللغات السامية المنبثقة من مجموعة اللغات الأفريقية الآسيوية، منها الكنعانية كما منها الآرامية والعربية، إلا ان العربية اكثر اللغات السامية تداولا واكثرها انتشارا واستخدامًا، وذلك لاحتفاظها على مقومات اللغة السامية الأم اكثرمن اي لغة سامية اخرى، فالعربية لغة نابضة متدفقة يتحدثها عشرات ملايين كلغة رسمية وكذلك مئات الملايين كلغة دينية، وقد تمتعت هذة اللغة بخصائصها العجيبة ومعجزاتها الفريدة منها الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية كما منها خصائص حروفها وإعرابها، وتعدد ابنيتها وصيغها، ووفرة مصادرها وجموعها وجودة مفرداتها واشتقاقها والدقة في تعابيرها وتراكيبها، وفي ذلك يقول ارنست رينان العالم الفرنسى: «إن هذه اللغة قد بلغت حد الكمال في قلب الصحراء عند امة من الرحل ففاقت اللغات بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها»، كما يقول عبد الرزاق السعدي احد اعلام اللغة والأدب: "العربية لغة كاملة معجبة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثل كلماتها خلوات النفوس، وتكاد تنجلي معانيها في اجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خلوات الضمير، ونبضات القلوب، و نبرات الحياة."[٤١]

للّغة العربية دور عظيم في حياة الأمة العربية الإسلامية، فهي وسيلة الإنسان في

[٤] عبد الرزاق السعدي، **مقومات العالمية في اللغة العربية وتحدياتها في عصر العولمة**، بحث منشورفي مجلة افاق الثقافة والتراث،العدد الثالث والستون،١٤٢٩، ص ٤٧.

التفكير، بها يتم التواصل والتفاعل بينه وبين أفراد مجتمعه، وهي أداته للتعبير عما يجول في خاطره من أفكار وما في وجدانه من مشاعر وانفعالات، كما أنها وسيلته للتعلم والتعليم. واللغة العربية وعاء للفكر والحضارة فلا يمكن الفصل بين اللغة وبين الفكر والحضارة حيث أن اللغة هي ما في النفس وما تحصل به الفائدة سواء كان لفظاً أم خطاً، فالمعاني تقوم في النفس قبل أن ينطق بها الإنسان، والإنسان لا يفكر حتى فيما بينه وبين نفسه إلاّ في أثواب من اللغة.

الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا واللغة العربية هي الوسيلة لحفظ التراث العقائدي والثقافي للأمة العربية الإسلامية، بواسطتها تنتقل الأفكار والمعارف من الآباء إلى الأبناء، لولاها لانقطعت الأجيال بعضها عن بعض ولاندثرت الحضارات والسير، فهي الخزانة التي تحفظ للأمة رصيدها الفكري وهي الجسر الذي تعبر عليه الحضارة عبر الأجيال . واللغة العربية من أهم مظاهر منعة الأمة وعزتها وهي مقياس لما وصلت إليه الأمة من تقدم وتطور، فكلما ارتقت الأمة زاد اعتمادها على اللغة وكانت لغتها قوية، وهي وسيلة فعالة من وسائل الدعوة للأمة الإسلامية بواسطتها تم جذب الكثيرين للدين الإسلامي عن طريق فنون القول في تأييد الآراء والحجج وفي دحض حجج أعداء الدين.[٤٢]

ولقد امتلكت اللغة العربية من الدعامات الكبرى ما مكّنها من البقاء والنمو والحركة والعطاء، وتتمثل هذه الدعامات في أنها لغة فكر عالمي إنساني ضخم المعطيات والآثار ومتصلٌ بكل قضايا الإنسان والحياة والمجتمع، ذلك هو الفكر الإسلامي الذي يتمثل في القرآن الكريم كلام الله العزيز.

[٤] محمود أحمد السيد، **طرق تدريس اللغة العربية التربوية الدينية**، (القاهرة:١٩٨٠)، ص ١٢.

لقد شرف الله – عز وجل – العربية واختصها بأن كانت لغة الوحي فنزل بها القرآن هدى للعالمين ليخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الحق المبين فكان الرباط الأبدي بين اللغة العربية وبين العقيدة، واكتسبت هذه اللغة قدسية خاصة ضمنت لها البقاء حية ومتجددة في كل العصور والأزمان، وأصبح التمسك بها والحفاظ عليها والذود عن حياضها وتعلمها والتحدث بها أمراً واجباً على كل مسلم.

يقول عمر بن الخ□اب: " تعلموا العربية .فإنها من دينكم " ويقول أبو منصور الثعالبي: "من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها."[٤٣]

إذن، إن للّغة العربية أهمية ومكانة كبيرة لم تتوافر في أي لغة من لغات الشعوب الأخرى، فلغتنا العربية نرتبط بها ديناً ودنيا، فارتباطنا بها دينياً ينبع من أنها لغة الإسلام الذي ارتضاه الله للناس جميعا.

الخلاصة

اللغة العربية أفضل اللغات وأوسمها. وقد تميزت اللغة العربية بميزات وخصائص انفردت بها عن سائر اللغات فى ثلاثة النواحي. الأولى من النواحي التاريخية، وهذه النواحي تبحث عن تاريخ ظهور اللغة العربية منذ الزمان أدم أو إسماعيل عليمها السلام. والثانية من النواحي الدينية والثقافة، وهذه النواحي تبحث عن اللغة العربية هي لغة

٣

٤ رمضان عبد التواب ، **فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨)، ص ٥.

الإسلام الصحيح الذي بعث الله به الرسل، وأنها أستعملت لدين الله منذ القديمة في بعثة الرسل، وأنها لغة مقدسة فى الأديان السماوية السابقة لدين الإسلام. والثالثة النواحي اللغوية، وهذه النواحي تنقسم إلى بحوث كثيرة، منها الخصائص الصوتية، الخصائص الصرفية، الخصائص النحوية، و الخصائص المعجمية والدلالية. أن العلماء العربية القدماء جعلوا قواعد الإحتجاج فاصلا بين مرحلتين للغة العربية. الأولى ضمت ما صح بحسب معاييرهم من كلام الجاهلين والمخضرمين والإسلاميين المتقدمين. والأن نميز بين الفصحى والعامية فى كل ما يعرض لنا من أمور. اللغة العربية الفصحى أفصح اللغة العربية، وهي اللغة القراءن الكريم. واللغة العامية مختلفة عن الفصحى، هي لغة المعاملات اليومية في السوق، لغة التخاطب غير الرسمى. وأما مقاييس الفصحى فهي محافظة العربية على ظاهر الإعراب الكامل، ومناسبة حروفها لمعانيها، وثبات أصواتها مع سعة مدرجها، وتنوع صرفها واشتقاقها، وتعدد أبنيتها وصيغها، وكثرة مصادرها وجموعها، وغنى مفرداتها والاشتراك والترادف والتضاد، واستعدادها الذاتي للنحت والتوليد والتعريب.

المراجع

إبراهيم، السيد صبري. **علم اللغة الاجتماعى مفهومه وقضاياه،** اسكندرية: دار المعرفة الجامعة، ١٩٩٥.

ابن جني أبو الفتح عثمان، ***الخصائص،*** بيروت: دار الهدى للباعة والنشر.

أنيس، إبراهيم. **في اللهجات العربية.** الفاهرة: مكتبة الأنجاو المصرية، ١٩٨٤.

الأهدلن محمد بن أحمد عبد الباري. **الكواكب الدرية شرح متمة الاجرومية.** سورابايا: الهداية.

حسن، عباس. **النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المجددة**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج.١. بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي. **المزهر في اللغة وأنواعها**. القاهرة: مكتبة مصرية، ١٩٥٨.

السعدي، عبد الرزاق. **مقومات العالمية في اللغة العربية وتحدياتها في عصر العولمة**. بحث منشورفي مجلة افاق الثقافة والتراث، العدد الثالث والستون، ١٤٢٩.

السيد، محمود أحمد. **طرق تدريس اللغة العربية التربوية الدينية**. القاهرة:١٩٨٠.

الصالح، صبحى. **الدراسات في فقه اللغة**. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٤.

العصيلى، عبد العزيز بن إبرهيم. ***من خصائص اللغة العربية***. الرياض: الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، ٢٠٠٨.

عمر، أحمد مختار. ***علم الدلالة***. القاهرة: مكتبة مصرية، ١٩٩٨.

قدور، أحمد محمد. **مدخل إلى فقه اللغة العربية**. بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٣.

م□ر، عبد العزيز. ***لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة***. بيروت: دار المعارف، ١٩٨١.

هلال، عبد الغفار حامد. **العربية خصائصها وسماتها**. القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٤.

يعقوب، إميل بديع. **فقه اللغة العربية وخصائصه**. يروت: دار الثقافة الاسلامية.